الفصل التاسع

أفكار حول خطط إصلاح العقل العربي والإسلامي

أسئلة يطرحها البعض، تتعلق بمفهوم إصلاح العقل العربي، وهى هل حقًّا العقل العربي بكل ما يشهده التاريخ من إبداعات وإنجازات في حاجة للتجديد؟ ومن المنوط بهذا التجديد، هل هى السلطات الحاكمة لهذا المجتمع أم المثقفون والنخبة؟ وهل ستنجح هذه السلطات في مهمة الإصلاح في ظل ما تتعرض له من ضغوط خارجية في النهوض بالعقل العربي إلى ركب الحضارة الذي كان يقوده لفترة طويلة من التاريخ البشري؟ أم أن هذا التجديد يقع على عاتق المثقفين باعتبارهم المسئولين عن توعية الشعوب وتشكيل أفكارهم؟ وهل يملك المثقفون الأدوات التي تمكنهم من النجاح في هذه المهمة؟

إن البداية الحقيقية لتجديد وإصلاح العقل العربي تبدأ بتغيير نمط الحكم السياسي الحالي في الدول العربية، وبعض الدول الإسلامية، الذي يسلم أماكن صنع القرار فقط لأهل الثقة وليس لأهل الخبرة، يسلمها للمتملقين والمنافقين للحاكم دون الاعتبار للطاقات والمواهب الجادة والذي كان سببًا فى ظهور الطبقة الفاسدة التى تصدرت المراكز الثقافية الحساسة لذا فالتجديد يتوقف بشكل كبير على الأمل فى أن يأتى حاكم متنور ومخلص إلى سُدة الحكم يكون فيه الخير والإخلاص لكى يقود الأمة مماتراكم عليها عبر سنى الفساد وهو الأمر الذى يتطلب الكثير من الجهد والوقت والوسائل؛ ولكن الشق الأصعب هنا هو اختفاء الرجل الصالح الذى يقوم بوضع برنامج على أساسه البناء. وإذا أردنا أن نكون واقعيين؛ فإنه للأسف لا نستطيع الاعتماد بصفة كلية على المثقف فى عملية التجديد تلك؛ فالمثقفون الحقيقيون مهمشون ولانسمع بهم؛ ومثقفو النخبة لا يستطيعون فعل أى شىء تحت الضغوط الرهيبة والرقابة اللصيقة التى يقوم بها رجال الدين والسائرون فى ركابهم أصحاب الأفكار التقليدية المحافظة التى ترجع إلى آلاف السنين الماضية والذين يحتفظون بقبضة من حديد من الإرهاب الفكرى لأى مثقف، يحاول

أن يتكلم فى الإصلاح والتجديد للأفكار التراثية والدينية والاجتماعية بحجة أنها الاجتهاد والمعرفة والعلم هى كلها من مطالب روح الدين الإسلامى وعصبها. ولنكون واقعيين أكثر؛ فإن أى مبادرة للتجديد يجب أن تنبع فكرتها ويتم التخطيط لها وتنظيمها من جانب السلطة؛ حتى يسيطر هذا التغيير على طبيعة أداء المؤسسات الرسمية التابعة للسلطة؛ فكما نرى؛ فإن الواقع يشير إلى المبادرة بتجديد العقل العربى تأتى بالأساس من السلطة. فالنصوص بالتعليم على سبيل المثال وكذلك تطوير الرسالة الإعلامية وأيضًا الاتجاه إلى التقنيات الحديثة من وسائل المسئولين عن الحكم للبيئة المناسبة للتجديد عن طريق التوعية، وتصحيح المفاهيم وتبنى كل نقلة حضارية تسهم فى تجديد العقل العربى. كما أن تجديد العقل يكون بصفة فردية أيضًا؛ أى لن يكون إلا بوعى شخصى من كل صاحب عقل؛ وأن يعنى بحاجته لأن يعرف ويفهم ويقبل ويرفض؛ فإذا حصرنا جزءًا مهمًا من مسئولية التجديد في سلطة أو مثقفين، فهذا لا يعني تجريد العقل من سن الرشد وسن النضج والقدرة على التعقل. إذ لم يعد أمام الرغبة في التجديد إلا الإرادة، والإرادة لا تستعار ولا تمنح كهبة أو منحة، الإرادة تنبع من الداخل، ومن ليست لديه إرادة التجديد فلن يتجدد أبدًا. وبالمقابل إذا امتلك العقل العربي إرادة التجديد فإنه هو الذي سيتولى تجديد سلطته وتجديد مثقفيه أيضًا.

ويرى بعض المفكرين أن السلطة لن تقدم للعقل العربي أدوات التجديد إلا إذا ناسبت مصالحها الخاصة، وهذه حقيقة، أما المثقفون، فقد صدم العقل العربي كثيرًا في مثقفين كانوا مثالًا وقدوة ثم فجأة، نكتشف أنهم أكثر من باع واشترى في المساحات البيضاء من عقلنا العربي.. أما المثقف الحقيقي فقد أنهكته السلطة فأصبح واحدًا من اثنين، إما طريدها أو تابعها وكلاهما عديم الجدوى للعقل العربي ووجهة النظر هذه فيها الكثير من الصحة مما يعطي هؤلاء المفكرين الانطباع الواقعي عن مشكلة إصلاح العقل العربي، وهو أن الوعي الشخصي هو السبيل الوحيد للتجديد.

ويرى البعض الآخر من مفكرينا أن تجديد العقل العربي من القضايا المهمة التي تحتاج إلى التكاليف بين السلطة والمثقفين والعودة إلى المرجعيات الفكرية والأخلاقية التي تميز كل أمة أو شعب عما سواها من المجتمعات البشرية، ويضع بين أيدي القائمين عليها من الآليات التي تمنح برامجها خصوصية مميزة. وهؤلاء المفكرون غالبًا ما يكونون مفكرين إسلاميين، يعتبرون أن الدين أساس التجديد ويصفون الإسلام كمرجعية أساسية في تشكيل الفكر بين يدي العقل العربي مفاتيح الانطلاق إلى آفاق أكثر إنسانية، بغية تحقيق القدر الأكبر من عمليات التغيير

على أرض الواقع، وليس في دوائر التطلعات الخجولة والأماني الضعيفة، وذلك عندما جعل الإسلام من الإيمان جسرًا إلى الإحسان، والإحسان في أحد معانيه يراد به الإتقان، والأخير كفيل بتجاوز العراقيل وصولًا إلى ما يطمح إليه العقل العربي المعاصر المبتلى بالتخلف والتأخر والابتزاز.

ومثال المفكرين الإسلاميين في ذلك، أن القرن العاشر الميلادي يعد جسرًا لانتقال العلوم التي أفرزها العقل العربي إلى أوروبا عبر الأندلس وصقلية مما جعل منها مراكز ثقافية مهمة، وإذا كان ذلك فالأحرى بالعقل العربي أن يستعيد عافيته ويسترد بضاعته متطورة، وعليه اعتبار القرن العشرين المنصرم فترة نقاهة له لكي يتخذ من القرن الحادي والعشرين الذي نعايشه حاضرًا، منطلقًا لاستعادة هويته الحضارية، لا سيما وأن الوطن العربي قد وهبه الله تعالى من الخيرات ما يقصر المسافة لإنجاز هذا الطموح.

يتمادى الكثير من المفكرين الإسلاميين فى نظريتهم أكثر، ويقولون إن العقل العربى ليس بحاجة إلى تجديد لأنه كان من الأزل العقل الذى بارك الله فيه أمة العرب واختارها أمة للرسالات السماوية وخاتمة للأنبياء والمرسلين باختيار النبى العربى محمد (ﷺ)؛ وأنا هنا أنقل وجهة نظرهم فقط؛ ويصلون فى فكرهم إلى أن الحاجة ليست إلى التجديد أو التغيير؛ إنما إلى التأكيد على الأخلاق فى كل مجالات التعاطى السياسى والاقتصادى والاجتماعى؛ ومواجهة السلطة التى دائما تكيل بمكيالين؛ وتختلف مواجهات السلطة بين بلد عربى وآخر فى الظاهر؛ ولكنها تبقى غير مؤثرة فى تغيير ثوابت ركود العقل العربى. كما يرى هؤلاء ـ المفكرون الإسلاميون أيضًا أن العقل العربى لا يحتاج إلى تجديد وإنما يحتاج إلى تطوير فيما يحمله من فكر؛ ذلك لأن العقل موجود أصلًا ولا يتغير وإنما الأفكار التى بداخله هى التى تتغير باتجاه الأحسن أو باتجاه الأسوأ. وتطوير الفكر العربى والنهوض بالإنسان العربى ثقافة وفكرًا وعلمًا مهمة متشابكة لا نستطيع أن نعين جهة معينة لتكون مسئولة عنها؛ ذلك لأن مهمة النهوض والتطور الفكرى هى مهمة مشتركة بين السلطة والمؤسسات الوطنية غير الحكومية والأفراد؛ ولا يمكن أن نفصل أى منها عن الآخر. وهم أيضًا يرون أن الحكومة أو السلطة هى المسئولة عن جهاز التعليم وهى المسئولة عن جهاز الإعلام المرئى والمكتوب فى العالم العربى؛ وبالتالى فهى مسئولة عن تربية الإنسان بشكل عام ونوعية الأفكار التى تحشو بها عقله والتى ستشكل مستقبلًا جزءًا أساسيًا من تكوين الإنسان الفكرى. وباختصار فهم يرون أن تطوير الفكر العربى قضية متشابكة مرهونة بعمل مشترك يكون مبينًا على ثوابت الدين الإسلامى، ويحث

على عمل مشترك بين السلطة والمؤسسات الثقافية والدينية والاجتماعية غير الحكومية وبين الأفراد كأسرة أو كأشخاص؛ ولا يرون إلقاء المسؤلية على عاتق جهة واحدة فى إصلاح العقل العربى.

أما ما أراه أنا، ومن خلال ما استعرضته بالدراسة والتحليل من خلال هذا الكتاب من توضيح أسباب قصور العقلية العربية فى مجاراة العصر الحديث والحضارة العالمية، فعلينا أولًا أن نعترف بأنه بناء على ما استعرضناه سويًا في هذا الكتاب، فإننا نستطيع أن نجزم أن العقل العربي أصيب بحالة من الخمول واليأس نتيجة للإحباطات المتلاحقة التي تعرض لها من الداخل والخارج؛ لذا فهو في حاجة لإعادة التنشيط والتجديد مع الحفاظ على هويته العربية الإسلامية التي تميزه، وتجمع شتت مجتمعاته من المحيط إلى الخليج، ويمكن أن تجعله قوة لا يستهان بها كما كانت في الماضي، وجعلها لفترات طويلة تتحكم وتبث حضارتها وفكرها إلى الخارج قبل أن تترهل وتسمح للقوى الأجنبية بالتدخل في شئونها على الوضع المؤسف الذي نحياه الآن.

وأرى أيضًا أن الشق الأكبر من مهمة الإصلاح والتنوير، تقع على عاتق المثقفين أكثر من السلطة، وذلك من خلال تحركهم الجدي، ومطالبة السلطة المستمرة بإعطاء الفرصة والرعاية وتوفير الإمكانات للباحثين والشباب للعودة إلى ركب الحضارة وموكب العلم الذي كنا نقوده من قبل، هذا بالإضافة إلى دورهم في توعية الأفراد بضرورة المشاركة الفعلية وعدم السلبية، وهذا ما أحاول أن أفعله شخصيًا من خلال كتابي هذا الذي أعتبره محاولة بسيطة وخطوة إلى الأمام في جهدي كمفكر في التوعية والتنوير.

إن طبيعة المثقف العربي المخلص تجعله يقود النهضة العربية الحديثة، لأنه يستشرف آفاق المستقبل، ويفكر بطريقة إبداعية معتمدًا على خلفيته المعرفية، فالإبداع هو الذي يجدد العقل. ولكن لكي يستطيع المثقف أن يقوم بهذه المهمة، فعلينا أن نحدد السبب الرئيس لحالة الركود العقلي والتخلف الذي نعاني منه وهو الافتقار إلى حرية الرأي، وعدم وجود حكومات ديمقراطية تفسح المجال لكافة الآراء كما تنطلق من سجنها لخلق مناخ حواري، يتحدى الذهن، ويحرض الإبداع والعقل؛ لذا نجد المثقف يخضع للسلطة المستبدة مكرهًا كي لا يخسر أو يجازف بلقمة عيشه، فيبيع في بعض الأحيان قلمه وفكره من أجل ضرورات العيش، ويتخلى عن تفكيره المستقل، ويتبنى أفكار السلطة المسيطرة. وبناء على ذلك يختفي المثقف الحقيقي ليطفو على السطح مدعي الثقافة، وتكثر كما نرى هذه الأيام حالات التطرف في الرأي، ومحدودية

الأفق، مما جعل المجتمع العربي يتحول إلى نهر راكد يخفي حالات عنف مكبوتة تنتظر الفرصة كي تفرغ شحناتها بطريقة خاطئة قد تدمر ما حولها. عمومًا إننا إذا كنا نسعى للتجديد حقًا كهدف، وليس كمجرد ادعاءات كاذبة، فعلينا أن نترك الفرصة الحقيقية لنشر الفكر والإبداع بعيدًا عن وسائل القمع المختلفة التي يتعرض لها كل صاحب فكر لا يتناسب مع مصالح السلطة الخاصة. مع أنني شخصيًا أحمل بعض سمات التحفظ على الأمل في تغيير العقلية العربية، وأرجو أن أكون مخطئًا، فالعقل العربي يتصف بجذور عريقة راسخة في أقصى تخوم التاريخ، وحتى لو حاولنا في مشاريع التجديد والإصلاح التي ناقشناها واستعرضناها، فإنه توجد صعوبة شديدة في التغيير، لأنه ـ واقعيًا ـ من الصعب جدًا أن نغير جذور عقل امتدت ونمت وترعرت في زمن بلغ الآف السنين، ولا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

ولكني لست بطبيعتي متشائمًا، دعونا نأمل أن يستفيق الإنسان العربي، ويرى ما حل بعقله. إن العقل العربي يحتاج إلى التجديد، والخطاب العربي بحاجة إلى تجديد، والحياة العربية والأنظمة العربية والفولكلور والعادات والتقاليد وكل مناحي الحياة بحاجة للتجديد. فالأمة التي لا يجدد فكرها ولا تجدد نظرتها إلى الحياة ولا تجدد أنظمتها فإنها سرعان ما تسير في طريق الهاوية، فالفكر والمبدأ والنظرة للحياة مهما سمت إن لم يلحقها التجديد فإنها ستبدأ بالانهيار والانزواء إن الرسول (ﷺ) نبأنا بتجديد هذا الدين على رأس كل مائة عام.. فالتجديد كمعنى كلمة هو تجديد الشيء أي هو صيرورته جديدًا وبهذا نطقت القواميس واللغة العربية تنطق بذلك.

إن التجديد بهذا المعنى هو مسئولية كل عربي ومسلم وإن اختص بها المفكر والمثقف أكثر من عامة الناس، ومسئولية الدولة أيضًا أن تهيئ لأفراد الأمة وعلمائها ومفكريها ومثقفيها الأمن والأمان والوسائل والضروريات ليباشروا البحث والاستقصاء والتنمية والبلورة لهذا الفكر، أي ليباشروا التجديد لهذا الفكر. فالمسئولية مشتركة على الجميع.

الإصلاح الدينى وإصلاح العقل فى الإسلام

إن الإصلاح الدينى بدأ فى العالم العربى والإسلامي. بدأ منذ ما يزيد على مائة عام؛ ولكنه لم يحقق النتائج المرجوة لأنه ظل مجرد وعظ وإرشاد؛ حاثًا الناس على العمل؛ والناس لا تعمل بالمواعظ بل بتغيير تصوراتها للعلم ونظرتها للكون. ومن ثم فالعودة إلى تأسيس العلم؛ وتحويل التوحيد الى نظرية؛ هو السبيل الى الإصلاح الجذرى؛ والانتقال من الإصلاح إلى ثورة تتأصل

أولًا فى شعور الجماهير؛ وتمدهم بتصور ثورى للعالم قبل أن تتحقق ثورة العقل الشاملة بالفعل كما يذكر الدكتور نصر أبو زيد فى معظم كتاباته.

إن الجماهير العربية ما زالت مطحونة؛ مضطهدة؛ يقوم شعورها على سيكولوجية الاضطهاد؛ وبالتالى فهى مستعدة بهذا التكوين لتأليه الحكَّام؛ فيدرك الحكَّام والباحثون عن السلطة أن الدين أنجح وسيلة للسيطرة على الشعوب؛ ويتبارون فى استخدام هذا التأثير بطريقة فجة متطرفة حتى إنهم يتلاعبون فى معانى التراث الأسلامى لصالح وجهات نظرهم السلطوية البحتة بدون النظر إلى مصلحة شعوبهم. إن التراث الإسلامى نتاج تاريخى خالص؛ صب كل عصر ثقافته وتصوره فيه؛ وتصور القدماء هو تصور تاريخى خالص؛ يعبر عن عصرهم ومستواهم الثقافى؛ كما أن تصورنا تصور معاصر يعبر عن روح عصرنا وعن مستوانا الثقافى.

وإذا كان العقل أساس الإصلاح فى الإسلام؛ فما السبيل الى إصلاحه؟

علينا أن نحدد أولًا نقاط البدء التى يمكن لنا الانطلاق منها؛ وفى المقابل العودة إليها كلما تطلب الأمر مزيدًا من إصلاح العقل. وبما أننى أكدت فى غير موضع فى هذا الكتاب؛ بضرورة تحرير العقل من جملة الأوهام والخرافات التى تشكل فى مجموعها عقائد بالية تضاف إلى ما لدى الإنسان من عقائد إيمانية؛ بحيث تطغى إحداها على الأخرى فى بعض الحالات؛ الأمر الذى يؤدى إلى تعديل المدركات الذهنية وشلل مقومات الشخصية ؛ إن لم يصل بها الحال إلى بلوغ مرحلة الانفصام النهائى.

النقطة الأولى: توجب علينا السؤال عن الأسباب التي أدت إلى التداخل بين الأوهام من جهة، والعقائد الإيمانية من جهة أخرى، فهل الإسلام وحده المسئول عن هذا التداخل، أم أن الخرافة جزء لا يتجزأ من ثقافة الإنسان الشرقي؟ لطالما كان القلب المركز الأساسي لإيمان المسلم، بحكم العمل بمبدأ الفطرة، وهو ذات المركز الذي يتصل من خلاله بربه، فلا مكان للعقل، سوى أنه أحد الأعضاء المتصلة بالقلب، وليس العكس، وهو ما يجعل العقل في مرتبة ثانية أو ثالثة في سلم الأولويات، من هنا قد يبدو مفهومًا سبب تركز الأوهام في العقل، فلو كان للعقل، باعتباره أعمق مواطن اليقين والإدراك ما للقلب من نصيب، لما وجدت تلك الأوهام موطنًا لها في العقل، لا سيما وأن العقل هو المكان الأنسب لنموها، خصوصًا عندما تنعدم عمليات الضبط والتحكم في الفرز بين الواقع والخيال.

النقطة الثانية: تتصل بسابقيتها، لجهة انعدام التفكير والركون إلى ما لدى العقل من أوهام

وتحاريف، بما يعيق أي محاولة لإصلاحه، وغالبًا ما يكون الجزء الأعظم من هذه الأوهام مرتبطًا بالعقائد الإيمانية أو يتداخل معها، مما يجعل عملية الفصل أو التفكيك متعذرة، إن لم تكن مستحيلة، بفعل ردود الأفعال المتأتية من الحفاظ على ما هو موجود في العقل، صونًا للعرف الاجتماعي المتصل بالأوهام، وحفاظًا على العقائد من الأضاليل والبدع؛ ونتيجة لذلك كله، فإن التوصيف الحقيقي للعقل في الإسلام، أنه عقل مغلق بدوافع الخوف من التجديد، فهو لا يستطيع أن ينفتح لا من الداخل ولا من الخارج، لئلا تثور ثائرة المحافظين التقليديين الراكنين على أفكارهم، وبذات الوقت أسير لثقافة التراجع والتقهقر في قضايا ثانوية، كقضايا الحجاب والنقاب، على حساب قضاياه المصيرية التي تحدد مستقبل الغد.

لعل النقطة الأولى والثانية من هذا التحليل تقودنا إلى **النقطة الثالثة والأخيرة**: والتي ترتبط بمكانة العقل في الإسلام وموقعه في حياة الأفراد. إن المكانة الزاهية للعقل في الإسلام التي يدلل عليها فقهاء الإسلام في كتبهم وأبحاثهم تتناقض بالكامل مع عرضنا السابق، فهم يحاولون دائمًا الإعلاء من مكانة العقل، ودفعه إلى أعلى المراتب، التي يمتاز بها الإنسان عن غيره من الكائنات، ولهم في ذلك سلسلة طويلة من الأدلة والبراهين القوية من آيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة، كما ورد في سورة البلد: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ١٠﴾ والمقصود بها العقل الذي يميز بين الخير والبشر.

غير أن صورة العقل اليوم ليست على ما هي عليه، كما جاء في الكثير من الوقائع فلم يعد العقل ذلك الجزء العلوي الذي يتربع على قمة هرم الإنسان، ودليلنا على ذلك، الفارق الشاسع بين ما وصلت إليه المجتمعات الغربية بالقياس مع التدهور المريع في مسيرة المجتمعات الإسلامية. أما المسئول عن ذلك كله، ما يسمون أنفسهم بفقهاء الإسلام الذين عجزوا عن وضع الإطار المناسب لتحديث وتطوير العقل بما يتماشى مع سني العصر وظواهر الكون، بينما ظل العقل أسيرًا لتأويلاتهم وتفسيراتهم التي تأبى السير في الطرق المؤدية إلى الإصلاح بذريعة رأب الفتن التي تتربص للمجتمع الإسلامي.

والحقيقة أن المشكلة ليست في الإصلاح بحد ذاته بقدر ماهي متصلة بالعقل، ومدى استعداده للإصلاح وتهيوئه الفعلي للفصل بين ما فيه من عقائد بالإمكان تجديدها من حيث ترتيبها حسب سلم أولويات العصر، وما فيه من أوهام تتقاطع مع تلك العقائد، لتنتج لنا في كل مرة، مزيدًا من صور الانحطاط والانحدار، وهو ما يجعل الإصلاح في هذه الحالة ضربًا من الخيال.لقد علقت بالعقل العربي والإسلامي في عصرنا هذا شوائب وعلل وشبهات وأوهام

عطلته كما قلت كليًا أو جزئيًا عن القيام بدوره التشريعي والاستخلافي على الوجه المطلوب، وقد كان ذلك حاصلًا بموجب عدة عوامل وأسباب ذاتية ألخصها: بالركود والجمود والكسل والتقييد واللامبالاة والتقليد والاستسلام وغيرها.

إن واجب العلماء والمصلحين والمفكرين والساسة إصلاح العقول قبل إصلاح الأعمال وتغيير الأفهام قبل تشريع الأحكام والوصول إلى جوهر الدين الصحيح وروحه العقلية البحتة، حتى تتهيأ العقلية العامة لقبول دين الله تعالى بروح حديثة متوازنة متطورة باحثة عن المعرفة وبنظام شامل وواقعي وإنساني ومتوازن ومستمر حتى يوم القيامة وليس كونه دينًا يخاطب الروح على حساب الجسد، أو العائلة على حساب الدولة، أو التعبير على حساب العلم والبحث عن المعرفة والتطوير.

لقد أصاب المرحوم المفكر الدكتور نصر حامد أبو زيد في اجتهاده القيم في محاولة تجديد الفكر والعقل الإسلامي عن طريق مشروع شامل للتجديد وضع أسسه وأرى أنه من المهم جدًا أن أذكره هنا عسى أن يكون منهجًا قويًا لخطة الإصلاح والتجديد للعقل العربي وروح الإسلام.

ـ خطوات مشروع التجديد والإصلاح

١ ـ تحليل الموروث القديم وظروف نشأته ومعرفة مساره في الشعور الحضاري.

٢ ـ تحليل الأبنية النفسية للجماهير، وإلى أي حد هى ناتجة عن الموروث القديم أو من الأوضاع الاجتماعية الحالية.

٣ ـ تحليل بنية الواقع وإلى أي حد هى ناشئة من الواقع ذاته ودرجة تطوره، أم أنها ناشئة عن الأبنية النفسية للجماهير، الناشئة بدورها عن الموروث القديم.

إن النتائج التي سوف تظهر من هذا المشروع التحليلي الإصلاحي المقترح من جانب د. أبو زيد، كانت في اعتقادي لوضع أسس المشروع الحضاري الإصلاحي للعقل الإسلامي قبل العربي، والذي أعتقد أنه خطوة مهمة في سبل إعادة صياغة العقل العربي.

ودعونا نتذكر دائمًا القاعدة الإسلامية المعروفة: «إن المجتهد إذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد، وإذا اجتهد فأصاب فله أجران.» إن الإسلام يعتبر العقل مناط إنسانية الإنسان وجوهرها، فإذا عطل بالجهل والغفلة والعمى الإدراكي، مسخت البشرية الإنسانية، وهبط

بذلك إلى مرتبة الحيوان. ودعونا نتذكر قول الإمام الغزالي (ت ٥٠٥هـ ـ ١١١١م) في حرصه على ضرورة الحفاظ على وحدة العقل والدين. فالإنسان ـ كما يقول ـ لا يستطيع أن يستغنى عن الدين أو العقل. فالعقل كالأساس، والدين كالبناء ولا يمكن تصور أحدهما بدون الآخر، فلا نفع في أساس بدون بناء، ولا ثبات لبناء بدون أساس؛ ولذلك يرى الغزالي أنهما متحدان اتحادًا لا يمكن فصله، ومن يجرؤ على تعطيل أي منهما، فهو في رأي الغزالي إما جاهل أو مغرور «فالداعي إلى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل، والمكتفي بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مغرور.»

وإذا لم يكن هناك تناقض بين العقل والدين فإنه ليس هناك أيضًا كما يقول ـ تناقض بين العلوم العقلية والعلوم الدينية، وعدم القدرة على الربط بينهما يرجع في رأيه إلى عمى في البصيرة يحجب الرؤية الصحيحة، «و ظهر من يظهر أن العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية، وأن الجمع بينهما غير ممكن، ظن صادر عن عمى في عين البصيرة نعوذ بالله منه.»

ويقول الإمام محمد عبده (٨٤٩هـ ـ ١٩٠٥م) المجدد الإصلاحي الإسلامي العظيم في علاقة الدين بالعقل في الإسلام: «لقد تآخى العقل والدين لأول مرة في كتاب مقدس على لسان نبي مرسل بتصريح لا يقبل التأويل، وتقرر بين المسلمين كافة ـ إلا من لا ثقة بدينه ولا بعقله ـ أن من قضايا الدين ما لا يمكن الاعتقاد به إلا من طريق العقل كالعلم بوجود الله وإرسال الرسل وإدراك فحوى الرسالة والتصديق بها، كما أجمعوا على أن الدين إذا أتى بشيء يعلو على الفهم، فلا يمكن أن يأتى بما يستحيل عند العقل، فالعقل من أشد أعوان الدين الإسلامي.»

أخيرًا، نحن بحاجة إلى إصلاح ديني وثقافي في المقام الأول، وكون ثقافتنا السائدة دينية إسلامية، فنحن بحاجة إلى إصلاح ديني بحت، ولنبدأ بالأساسيات كما ذكر د. أبو زيد في خطوات مشروعه الإصلاحي، ثم الفروع، ثم بعد هذا نتحدث عن الإصلاح السياسي والاقتصادي وغيرها من إصلاحات.

* * *